

الخصائص الفنية البلاغية في كتابات البشير الإبراهيمي، تحية غائب كالأيب أنموذجا

Rhetorical and technical characteristics in the writings of Al –Bachir Al –
Ibrahimi, Greeting an absent like a returned person as an example

د. بعباع عثمان

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)

babaaathman@yahoo.com

ط.د. شعابنية سهيل

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)

مخبر المناهج النقدية المعاصرة وتحليل
الخطاب

Souhila chaabnia@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/19

تاريخ الاستلام: 2025/03/20

ملخص:

يعدّ البشير الإبراهيمي واحدا من الأعلام الرائدة والمؤسسة للكتابة المقالية الفنية في الجزائر، وقد انمازت كتاباته بسمات أسلوبية وفنية وسمت كتابته بالفنية والتميز، الأمر الذي دفعنا للبحث في خصائص الكتابة لديه وبخاصة البلاغية بكل أشكالها البياتية والبديعية، وتهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن المميزات البلاغية الفنية في كتابات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من خلال مقالاته التي جُمعت في "عيون البصائر"، وقد اخترنا نموذجا منها هو مقال تحية غائب كالأيب، الذي عبّر عن خلاله الإبراهيمي عن وطنيته موطّفا فيه السمات البلاغية لأسلوبه المتميز في الكتابة، وقد توخينا في الدراسة تحقيق حملة من الأهداف الإجرائية بالتطبيق على نموذج مقالي من مقالات الشيخ الإبراهيمي وتحليل الخصائص الأسلوبية ممثلة في بلاغة البديعيات والصور البيانية بطرق بلاغة الإيجاز والتلميح، والطباق والمقابلة، والتخييل والتصوير.

الكلمات المفتاحية: الخصائص البلاغية – المقال – البشير الإبراهيمي – الأسلوب

Summary :

This research paper aims to uncover the artistic rhetorical features in the writings of Sheikh Mohammed Al- bachir Al Ibrahimi, focusing on his articles compiled in « Ayun Al basair ». We have selected as a model the article Salutation to an Absent one like the Beloved, in which Al-Ibrahimi expresses his patriotism and employ the rhetorical characteristics of his distinctive Writing Style.

Key words : the artistic rhetorical – Article – Bachir Al Ibrahimi Style.

1. مقدمة:

يعدّ الشيخ البشير الإبراهيمي من أبرز أعلام الإصلاح والتربية والخطابة، والفكر في العالمين العربي والإسلامي وذلك نتيجة لما خلفه من إنتاج غزير يشهد له بذلك، فهو من رُوّاد فن المقال المتميّزين في الكتابة والأسلوب. وعليه نطرح الإشكال الآتي: "فيم تكمن الخصائص الفنيّة البلاغية عند الإبراهيمي وبالخصوص في مقال تحيّة غائب كالأيب؟"

يهدف البحث إلى إبراز السمات الأسلوبية التي يتمتع بها تحرير البلاغة في الوطن العربي دون منازع، كما يهدف البحث أيضاً إلى أن الشيخ الإبراهيمي تحدى ببلاغته المنتهية النظر إلى تحدي المتكلمين في مجاله. يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

2. مفهوم البلاغة:

1.2. في اللغة:

يحدّد ابن منظور معنى البلاغة في الانتهاء والوصول، فبلغ الشيء، يبلغ، بلوغاً، وبلاغاً وصل وانتهى، تبلغ بالشيء وصل إلى مراده، البلاغ ما يبلغ به، ويتوصّل إلى الشيء المطلوب، الإبلاغ الإيصال، بلغت المكان بلوغاً وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه، والبليغ من الرجال، ورجل يبلغ وبلغ، حسن الكلام فصيح، يبلغ بلسانه كنه ما في قلبه، والجمع بلغاء، وبلغ بلاغة صار بليغاً.⁽¹⁾

2.2 في الاصطلاح:

البلاغة: "هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"

التعريف المذكور هو التعريف المشهور عند البلاغيين، وبغية أن نتبيّن معناه بوضوح نكون بحاجة إلى بيان المقصود من المصطلحات الثلاثة المذكورة فيه وهي: الكلام، الحال، الفصاحة.

- الكلام: ويُراد به ما يُلقى المتكلّم مع توقّره على قصده لمعناه، وعلى إفادته السّامع أو القارئ.

- الحال: ويُراد به المناسبة أو الوضعية الخاصة الدّاعية للمتكلّم أن يقول كلامه كتأبين الميت الداعي لقول الرثاء، وكاستقبال الضيف الداعي للاحتفاء به والبشاشة في وجهه.

- الفصاحة: ويراد بها خلو ألفاظ الكلام مفردات وتراكيب ممّا يؤدي به إلى خروجه عن الطريقة المألوفة للعرب في نطقه والتلفّظ به.⁽²⁾

ولعلّ من أسلم التعاريف للبلاغة وأقربها إلى حقيقتها هو تعريف أبي هلال العسكري في كتابه (الصناعتين) وهو قوله البلاغة: "كلّ ما تبلغ به المعنى قلب السّامع فتمكّنه في نفسه وتمكّنه في نفسه مع صورة مقبولة ومعرض حسن". وذلك لانطوائه على الإشارة إلى عناصر النص الأدبي التي تجعل منه نصّاً أدبياً بليغاً وهي:

- الفكرة: ويشير إليها قوله (المعنى).
- العاطفة: ويشير إليها قوله (تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك).
- الخيال
- الصورة: اللذان أشار إليهما بقوله (مع صورة مقبولة ومعرض حسن).⁽³⁾

3.2 . أقسام الأسلوب الأدبي:

ينقسم الأسلوب الأدبي (أي بلاغة الكلام) إلى ما يلي:

- الأسلوب اللفظي: وهو ما روعي فيه الأغراض والدواعي لاستعمال الألفاظ مطابقة لمقتضى المناسبة، كذكر اللفظ أو حذفه، وكتقديمه وتأخير، وما إليها مما يتوافر على دراسته (علم المعاني).
- الأسلوب المعنوي: وهو ما روعي فيه الأغراض والدواعي لاستعمال المعاني مطابقة لمقتضى المناسبة كالتشبيه، والاستعارة والكناية، وما إليها مما يتوافر على دراسته (علم البيان).
- الأسلوب الجمالي: وهو ما روعي فيه الأغراض والدواعي لتجميل اللفظ أو المعنى حسب مقتضى المناسبة، وهو ما توفّر على دراسته (علم البديع).⁽⁴⁾

3 فروع علم البلاغة

1.3 علم المعاني:

المعاني علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يكون بليغاً فصيحاً في إفراجه وتركيبه، فالفصاحة أن يكون الكلام خالصاً أي سالماً مما يعدّ عيباً في اللغة بأن يسلم من عيوب تعرض للكلمات التي تركب منها الكلام أو تعرض لمجموع الكلام. فالعيوب العارضة للكلمات ثلاثة: الغرابة، وتنافر الحروف، ومخالفة قياس التصريف، والعيوب العارضة لمجموع الكلام ثلاثة: التعقيد وتنافر الكلمات، ومخالفة قواعد النحو ويسمى ضعف التأليف⁽⁵⁾.

ويُعنى علم المعاني بمسائل عديدة كالإسناد، والقصر، الخبر والإنشاء، الوصل والفصل، الإيجاز والإطناب والمساواة.

2.3 فن البيان:

هو علم به يعرف البليغ كيفية إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة على حسب مقتضى الحال، فتلك الطرق هي: الحقيقة، والمجاز، والتشبيه، والتصريح، والكتابة.⁽⁶⁾

3.3 . فن البديع:

البديع هو المحسنات الزائدة في الكلام على المطابقة لمقتضى الحال، وتلك المحسنات إما راجعة إلى معنى الكلام باشتمال المعنى على لطائف مفهومة تحسّنه وتكسبه زيادة قبول في ذهن المخاطب. وإما راجعة إلى لفظ الكلام باشتماله على لطائف مسموعة توثق وتوجب له بهجة في سمع السامع.

والمحسنات البديعية كثيرة لا تنحصر عدًا وابتكارًا ويكفي المبتدئ أن يعرف مشهورها من القسمين اللفظي والمعنوي. أمّا المعنوي فمنه التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الذات. ومنه المبالغة المقبولة وهي إدعاء بلوغ وصف في شدته أو ضعفه مبلغًا يبعد أو يستحيل وقوعه. ومنه التورية وهي أن يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد. ويراد المعنى البعيد اعتمادًا على القرينة لقصد إيقاع السامع في الشك والإيهام. ومنه المشاكلة وهي أن يعتمد المتكلم إلى معنى غير موجود فيقدره موجودًا من جنس معنى قابله به مقابلة الجزاء أو العوض.

وأما المحسنات اللفظية فمنها التجنيس ويسمى الجناس وهو تشابه اللفظين في النطق مع اختلاف المعنى. فإن كان التشابه في غالب حروف اللفظين فهو غير تام. ومنها الاقتباس والتضمين. (7).

4 الظواهر البلاغية عند البشير الإبراهيمي

1.4 ظاهرة السخرية:

تُعدُّ ظاهرة السُّخرية من أهم الظواهر التي تتضح في أسلوب الإبراهيمي، بالإضافة إلى ظاهري تأثره بالقرآن والتراث من ناحية والإطناب من ناحية أخرى.

ولما كانت السخرية في نصوص الإبراهيمي على وجه الخصوص تقوم على أساس مهم وهو إبراز التناقض بين جمعية العلماء التي ينتمي إليها الإبراهيمي، وبين خصومها من طرقيين وإداريين في الأهداف والتصرفات، فإن هذا المبدأ هو الذي جعل الطباق والمقابلة من العناصر الممهدة للأسلوب الساخر عند الإبراهيمي. (8)

2.4 الطباق والمقابلة

إنَّ أصل الطباق هو اقتران الشيء بضده، ومن شأن اقتران الأضداد وضوح الفكرة من ناحية، وزيادة التأثير في المتلقي من ناحية أخرى.

والطباق عند الإبراهيمي وسيلة تبرز من خلالها السلوكات السيئة للخصوم وهو أيضًا وسيلة لعرض صور التناقض في الحياة بشكل عام، وفي حياة الجزائريين مع أعدائهم من إداريين استعماريين، ومن طرقيين مضللين. ويتم ذلك عند الإبراهيمي في الغالب عن طريق الإشارة إلى وضعين متناقضين، ثم التنبيه إلى أسباب التناقض بينهما وذلك كما يتضح من حديثه عن الاحتفالات عندما يجعل (أسماءها) أي أرفعها وأهمها وهي: "ما يُذكر الجمهور بأجماده التاريخية ومفاخره القومية، وفيه (في الجمهور) نخوة أماتها الضيم، وفحولة قضى عليها التأنث، وذكرى أختت عليها الغفلة والنسيان، وأصالة خنثتها الأعراق الدسيسة، وعزيمة أطفالها طباع الضعف والفسولة، وأريحية غطى عليها اللؤم المخزي والشح المطاع، وشوارع خدرتها تهدئة الدخيل، وزمزمة الحاوي وهيمنة الواغل" (9)

فالتباينات في الفترة السابقة من أمثال: "الفحولة والتأنث، والذكرى، والغفلة، الأصالة والتلوث، واللؤم والأريحية...." كلّها لوحات تومئ بالأصل وتشير إلى السبب، فالضيم الاستعماري مصاحب للغفلة والتأنث والأعراق

الدّسيّسة.... إلخ. ولذلك فإنّ أسمى الاحتفالات هي التي تكشف عن أصالة وفحولة وأريحية الشعب المظلوم لكي يقتدي بأصله في إزاحة الضيم عن حاضره.

والمقابلة كما هو معلوم، إن هي إلّا طباق متعدّدة، وهي تبدو عند الإبراهيمي كأوضح ما تكون عندما يتعرّض إلى صراع الحق - الذي تعمل من أجله جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - مع الباطل الذي يُغري به (شيوخ الطّرق) المنحرفين عامة الناس. وقد ارتفعت نسبة المقابلات عند الإبراهيمي في تلك النصوص "تعالوا نسائلكم" التي حاور فيها (شيوخ الطّرق وأتباعهم) عندما اجتمعوا في جمعية سموها (جمعية علماء السّنة).⁽¹⁰⁾

وقد أبرز الإبراهيمي في تلك النصوص مساوئ هؤلاء الشيوخ في صور سخيّة، وقابل بينهم وبين العلماء المسلمين الجزائريين، فقال: " وفرق ما بيننا وبينهم أنّنا ندعوا إلى السّنة وهم يدعون إلى البدعة. ونحن ندعوا إلى أخوة الإسلام وهم يدعون إلى الفرقة والتفرّق. وفرق آخر بيننا وبينهم، أنّنا نذكر الأمة بكتاب الله وما صحّ من سّنة نبيّه، وهم يذكرونها بالطليل والمزمار. ⁽¹¹⁾

3.4 الإيجاز والتلميح

إذا كانت صور المقابلات عند الإبراهيمي تُعبّر عن عمق التّناقض، فإنّ التلميح والإيجاز يعبّران عن دقة ربط الإبراهيمي لبعض الأحداث التي يعرض لها في فترة الدراسة بأحداث أخرى بعيدة، مع ما يوحي به الربط في الغالب من تهمّم تُحسّسه من الصور العامّة للسياق. فمن ذلك مثلاً: ما تُحسّسه عندما يربط الإبراهيمي بين علاقة لقب (شيخ الإسلام) بالشيخ (الطاهر بن عاشور) إذ يقول: "إمّا أنّنا لا نُكبر هذا اللقب فلأنّنا لم نُكبره يوم كانت تعطيه المؤهلات الحقيقية، ومنحه الرأي العام العلمي، فيُقال: شيخ الإسلام (ابن القيم) وشيخ الإسلام (ابن حجر) مثلاً، فما أغنى هذا اللقب عندنا عن الأول معشار ما أغنى عنه (أعلام الموقفين) وغيره من كتبه، ولا أغنى عن الثاني معشار ما أغنى عنه (فتح الباري) وغيره من آثاره، فكيف نُكبره الآن وحاله هي حاله؟" ⁽¹²⁾

إنّ العبارة الأخيرة من هذا النص، بما فيها من استفهام، توحى بكلّ النّقائص التي أحاطت بتنصيب الطاهر بن عاشور شيخاً للإسلام، وبكلّ النّقائص الكامنة - كما يرى الإبراهيمي - في تكوينه العلمي التي تقف به دون هذا اللقب. وتوحى كذلك بالنّقائص العقلية والشخصية لهذا الرجل الذي استخدم هذا اللقب في غير ما وضع له، فأفتى - وهو شيخ الإسلام - بما لا يتّفق مع الإسلام.

وهكذا يكون الإيجاز في هذه الحالة مثيراً للإيحاءات التي تكشف عن العيوب التي تحط من قيمة الخصم، حتى وإن لم يذكر الإبراهيمي تلك العيوب ذكرًا مباشرًا.

ولا يختلف الإيجاز كثيرا في مثل هذه الحالة عن التلميح الذي يعني الإشارة إلى قصة معلومة وقد استخدم الإبراهيمي هذه الخاصية عندما أراد أن يُبين زيف انتساب (شيوخ الطرق) إلى السُّنة فقال: «ومن أمثلة ما تهيأ لأصحابنا منه دعواهم في السُّنة: دعوى آل حرب في زياد»⁽¹³⁾

وفضلاً عما توحى به قصة إدعاء (شيوخ الطرق) للسُّنة، وربطها بقصة إدعاء آل حرب في زياد من تهكم واضح في مجال البعد عن الصدق والحقيقة، فإنّ الإبراهيمي يضيف إلى هذا التهكم تهكماً من نوع آخر وهو استخدامه لعبارة (أصحابنا) التي يتهكم بواسطتها من خصومه شيوخ الطرق وأتباعهم.⁽¹⁴⁾

4.4 التخيّل والتصوير:

الصورة عند الإبراهيمي تأتي مكثّفة وأياً كانت، فإنّها تأتي دائماً مصحوبة بفكرة أو معبّرة عنها، أو أنّ الفكرة تتراءى من خلال ألفاظها. وأبرز أمثلة هذه الصور المكثّفة نجدها في هذا الدعاء الذي جاء في مقدمة العدد الأول من البصائر: "اللهم يا ناصر المستضعفين انصرنا، وخذ بناوصينا إلى الحق، واجعل لنا في كل غاشية من الفتنة رداء من السكينة، وفي كل داهية من البلاء درعاً من الصبر، وفي كل داجية من الشك علماً من اليقين، وفي كل نازلة من الفرع واقية من الثبات، وفي كل ناجمة من الضلال نوراً من الهداية، ومع كل طائف من الهوى رادعاً من الحق، وفي كل عارض من الشبهة لائحاً من البرهان وفي كل ملّة من العجز باعثاً من النشاط، وفي كل مجهلة من الباطل معالم من الحق اليقين، ومع كل فرعون من الطغاة المبتدعين موسى من الحماة المقاومين."⁽¹⁵⁾

فهذه المجموعة المتتالية من الصور التي حملت كل نوازع النفس ومشاعلها وهمومها، ومتاعب المجتمع ومشكلاته، وملامح الصراع النفسي الذي كان يعانيه الإنسان الجزائري، والتي عبّرت عن قيمه التي كان ينطلق منها، وآفاقه التي كان يتطلّع إليها والتي وجدت لكل من ذلك حمايته وغطاءه، ووضعت لكلّ داء دواءه، ولكلّ حالة من حالات النفس الفردية والاجتماعية السلبية نقيضها الإيجابي والتي سبكت ذلك في هذه المجموعة من الجمل المتوازنة وهي تستند إلى لغة التراث بأكثر مما استندت إلى لغة المعاصرة، ولكن طابع المعاصرة لا يتخلّى عنها، وإنّما يتجلّى في الجو النفسي والاجتماعي الذي كان يتلامح من خلالها، كميّاباً في وصف الواقع، مشرقاً في وصف العلاج والذي كان يستبعثها في نفس القارئ ثم يمرق منها في رشاقة عجيبة، وفي موسيقية عميقة الإيحاء، آتية من بعيد، وفي توازن بنائي يساعد على الدلالة ويفعّرها عندك، حتى يغيب عنك المعنى الحرفي أو اللغوي لبعض الألفاظ.⁽¹⁶⁾

5.4 السجع والجناس:

إنّ معظم نصوص الإبراهيمي تبدأ بالسجع المصاحب للجناس ومن أمثلته يقول الإبراهيمي: "سكتنا حتى هدرت الشقاشق وقرت، وظهرت الحقائق واستقرّت، ونثلت الجرائد كنائنها، وأخرجت الصور دقائقها"⁽¹⁷⁾

كما يقول: "نبتدئ الكلام باسم الله وحده، وبالصلاة والسلام على سيدنا محمد ابن عبد الله رسول الله وعبد، وبالرضي عن آله وأصحابه أنصار الحق وجنده" (18)، فالخطب عنده تبدأ بالحمد والثناء في صورة جمل قصيرة مجموعة في الغالب على أنواع من الجناس.

6.4 السجع والجناس:

من أمثلة الاقتباس عند الإبراهيمي قوله وهو يتحدث عن أعضاء جمعية علماء السنة فيقول: "ولو أنّ هذه الطائفة أوتيت قليلاً من الرشد والإنصاف لكانت للجمعية مكان الأخ من أخيه، ولحمدوا لها سعيها في خدمة الأمة، ولعادوا من نخلهم المفرقة إلى دعوتها الجامعة التي هي دعوة الله لخلقه على لسان أنبيائه من قوله تعالى: «وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون» (19)

أما عن الحديث الشريف يقول الإبراهيمي: "أيّها النّاس إنّ نقطة التّزاع بيننا وبين هؤلاء - (جمعية علماء السنة) - هو هذه العامة التي أضلّوها وأذلّوها، وغاية الشيطان أن يضل، وأرادوها على أن تعبدهم من دون الله وهو ما يئس منه الشيطان بنص الحديث" (20)

فهو متأثر يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أما بعد أيّها النّاس فإنّ الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به ممّا تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم» (21) ومن أمثلة ما يرد في نصوص الإبراهيمي من أبيات الشعر القديم مع ذكر اسم القائل أنّه يرى في لحة من تأملاته الفلسفية أن الأمة إذا تقاعس أفرادها عن أداء الفضائل وإزاحة النقائص مع قدرتهم على ذلك. كانوا المعنيين بقول المتنبي:

ولم أر في عيوب النّاس شيئاً * * * كنقص القادرين على التمام (22) (23)

5. ملخص عن مقال "تحية غائب كالأيب":

يقول الدكتور تركي عمارة: "أصبح الشيخ بعد أن طالت غربته عن الوطن وفيه الأهل والأصدقاء شديد الحنين إليه، كثير الذكر له، وكنا عندما نجتمع به أحياناً يُكثر علينا من إلقاء الشّعر الذي يتحدث عن الحنين إلى الوطن والأهل، وقد يتذكّر أمامنا أصدقاءه ورفقاءه في جمعية العلماء، ورحلاته عبر أنحاء الوطن فيفيض علينا في الحديث عن خصائص وعادات كل ناحية ورجالها حديث العارف الخبير، وكان كثيراً ما يتمنى أن تطول به الحياة حتى يعود إلى أرض الوطن الذي أحبه كثيراً، وأفنى زهرة شبابه في خدمته، وخدمة أجياله، وفي بعض الأحيان يتوجّه إلى اللهأمامنا ويطلب منه أن يلقاه أجله في الجزائر لا في غيرها من البلدان الأخرى، وقد عبّر عن هذه الأمنية في افتتاحية هامة بعث بها إلى جريدة البصائر من القاهرة في عام 1953 تحت عنوان " تحية غائب كالأيب " ختمها بقوله: "خطت الأقدار في صحيفتي أن أفتح عيني عليك وأنت موثقة، فهل في غيب الأقدار أن أغمض عيني فيك وأنت مطلقة؟ وكتبت الأقدار عليّ أن لا أملك من أرضك شبراً فهل تكتب لي أن أحوز في ثراك قبراً." وقد استجاب الله لدعائه فأمدّ في أجله حتّى رأى وطنه الغالي حرّاً طليقاً

وقد عاد إليه في أواخر سنة 1962 بعد انتصار الثورة ورحيل الاستعمار من الجزائر وعاش فيه ثلاث سنوات التقى فيها برفاق جهاده واجتمع فيها بالأهل والولد، واتّصل به تلامذته الكثيرون من جميع جهات الوطن قبل أن يتوفاه الله إليه في 19 مايو 1965. وهكذا يموت العظماء فلا يندثر منهم إلاّ العنصر التراي الذي يرجع إلى أصله، وتبقى معانيهم الحيّة في الأرض قوة تُحرّك ورابطة تجمع، ونورًا يهدي، وعطرًا ينعش "رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والعروبة والوطن خيرًا كثيرًا" (24)

إذن فمقال: "تحية غائب كالآيب" نموذج يُستدل به على حبّ الوطن، وهو من أبلغ ما كتب الإبراهيمي في هذا الشأن، فهو رسالة يدعو فيها الشيخ الإبراهيمي كلّ غريب إلى التعلّق بحبّ الوطن.

6. الخصائص الفنية البلاغية في مقال "تحية غائب كالآيب":

إنّ المتمعّن في كتابات الإبراهيمي يرصد مجموعة من الخصائص الفنيّة والبلاغية التي تميّزه عن غيره أبرزها:

1.6 السجع والجناس:

ومن أمثلته في هذا المقال (تحية غائب كالآيب) قول الإبراهيمي: "حيّ الجزائر عني. يا صبا..... واحمل إليها مّي سلامًا تُباري لطافته لطافتك، وتساري إطاقتها طافتك" وقوله: "قل للجزائر الحبيبة هل يخطر ببالك من لم تغبي قطّ عن باله؟ وهل طاف بك طائف السلو، وشغلك مانع الجمع وموجب الخلو، عن مشغول بمواك عن سواك؟ فالسجع واضح في قوله: تُباري - تُساري. وهو جناس ناقص في الوقت نفسه وأيضًا الأمر ذاته في قوله: لطافته - إطافته، السلو - الخلو. (25)

2.6 الطباق والمقابلة:

ومثالهما قول الإبراهيمي: "خطّت الأقدار في صحيفتي أن أفتح عيني عليك وأنت موثقة، فهل في غيب الأقدار أن أغمض عيني فيك وأنت مُطلقة؟ ومن أمثلة الطباق قوله: "واثمنوك على جدّهم ومجوعهم، فاحتملت غنًا وسمينًا. (26)

3.6 الخيال والتصور:

التشبيه في قول الإبراهيمي: "وكأنّ شأنك وشأنهم في ذلك إرهاب بحقيقة حوّموا عليها ولم يردوا، وجمجموا عنها ولم يفصحوا".

وقوله أيضًا: "لن أنسى - يا أمّ - أنّك كنت لي ماحطة الغرس"، ثمّ قوله: "ومن أنصار كانوا للدعوة السلفية خزرجها وأوسها، وكانوا للنهضة الجزائرية عمادها وأسسها، وكانوا الأحجار الأولى لبناء الجزائر الجديد".

الاستعارة: في قوله: "سرّ يا صبا - طاب مسراك، وصفا مجراك في جوّ ضاحك الصفحة. وقوله: "أدّ التحية عني للجزائر التي غدت وربّت".

وقوله: "من علماء جلالهم الإسلام سيوفًا، وإبراهيم سهاّمًا، وقومهم رماحًا"، الكناية في قوله: "ومعذرة إليك إذا كنت ارتحيث ثمّ انتحيث"، ثمّ قوله: "ومن شبّان ربّيناهم للجزائر أشبالًا، ووترناهم لعدوّها قسيسًا ونبالًا".

4.6 الاقتباس والتضمين:

من أمثلة الاقتباس الواردة في هذا المقال قول الإبراهيمي: "وبما رفعوا لك من ذكرٍ" مقتبسة من قوله تعالى في سورة الشرح الآية 4: "وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ"، وقوله أيضًا: "السرائر" مأخوذة من قوله تعالى في سورة الطارق الآية 09: "يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ"، وقوله: "ورضيئ" من قوله تعالى في سورة المائدة الآية 03: "وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"، وقول الإبراهيمي: "في صدور الوساس" من قوله تعالى في سورة الناس الآية 05: "الذي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ"، وقوله كذلك: "ووالله ما أنسانيهما" من قوله تعالى في سورة الكهف الآية 63: "وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ" (28). ومن أمثلة التضمين، فإننا نجد الإبراهيمي في هذا المقال يستشهد بالشعر العربي من خلال البيت الشعري الذي ذكره للوزير ابن الخطيب السلماي:

وجاشت جنودُ البين والصبر والأسى * * * عليّ فكان الصبرُ أضعفها جندًا

ليس هذا فحسب، بل إننا نلاحظ تأثره بالأدب والتاريخ من خلال توظيفه لعبارة "ابن الأثير" في قوله: "وما كنت لديهم الثقة الأثير، إلا لأنك (ابن الأثير)، وعبرة "بنو هلال" في قوله: "فإذا لاحث لك بواذخ الأطلس فاسلك منها ما سلك بنو هلال" (29)

5.6 التكرار:

من العبارات التي كررها الإبراهيمي في هذا المقال: "الجزائر - صبا ... أيتها الوطن الحبيب" وتدل على شوقه وحبّه لوطنه وهو بعيد عنه، وأيضًا عبارات مثل: "رضيئ، الرضى، الله. وتدل على تأثره بالإسلام. (30)

7. خاتمة:

وفي الختام يمكننا الاستشهاد بقول وزير الشؤون الدينية "عبد الرحمان شيبان" عن الإبراهيمي: "لقد كان رحمه الله إمامًا في العربية وبلاغتها، تفقه في أسرارها وتعدّى بآدابها واستنار بقرآنها، وكان خطيبًا مصقًا، يهزّ القلوب ببيان ساحر...، أما أسلوبه في الكتابة، فهو جاحظ عصره، وبديع زمانه، ممّا جعله بحق معجزة من معجزات الثقافة العربية الإسلامية، في القرن العشرين...."

وعليه نستنتج ما يلي:

- البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته وهو التعريف الشائع عند البلاغيين.
- من فروع علم البلاغة: علم المعاني، علم البيان وعلم البديع.
- من الخصائص البلاغية عند الإبراهيمي: ظاهرة السخرية، الطباق والمقابلة، السجع والجناس، الإيجاز والتلميح، الخيال والتصوير، الاقتباس والتضمين.
- "تحية غائب كالأيب" من مقالات عيون البصائر للبشير الإبراهيمي تحدث فيه عن وطنيّة المسلم، كما هدف من خلاله إلى ضرورة تعلّق الغريب بوطنه.

– من السمات البلاغية الواردة في مقال "تحية غائب كالآيب": ظاهرة السجع، الطباق والمقابلة، الاقتباس والتضمن، التكرار.

8. الهوامش:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، المجلد 8، ج 1، ص 419، مادة "بلغ".
2. عبد الهادي الفضلي، تلخيص البلاغة، دار الكتاب الإسلامي، بيروت لبنان، ص 7.
3. المرجع السابق، ص 10.
4. المرجع السابق، ص 13 – ص 14.
5. أنور غني الموسوي، تلخيص موجز البلاغة، دار أقواس للنشر، العراق، 2020، ص 3.
6. المرجع السابق، ص 18.
7. المرجع السابق، ص 32 – 33 – 34.
8. محمد العيد تاورته، أنواع نثرية وظواهر أسلوبية في الكتابات الأولى للإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – دار الإحسان للنشر والتوزيع – باتنة – الجزائر، 2023، ص 70.
9. الإبراهيمي: (كلمة في الاحتفالات)، الشهاب، ج 4، م 14، ص 169.
10. محمد العيد تاورته، أنواع نثرية وظواهر أسلوبية في الكتابات الأولى للإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – دار الإحسان للنشر والتوزيع – باتنة – الجزائر، 2023، ص 71.
11. الإبراهيمي: (تعالوا نسايلكم) الحلقة 2، السنة النبوية المحمدية، العدد 9، ص 1.
12. الإبراهيمي: (أشيخ الإسلام هو أم شيخ المسلمين؟) البصائر. السنة الأولى، العدد 20، ص 1.
13. الإبراهيمي: (تعالوا نسايلكم) الحلقة 1، السنة النبوية المحمدية، السنة الأولى العدد 7، ص 1.
14. محمد العيد تاورته، أنواع نثرية وظواهر أسلوبية في الكتابات الأولى للإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – دار الإحسان للنشر والتوزيع – باتنة – الجزائر، 2023، ص 74.
15. الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بأقلام معاصريه، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 2012، ص 198.
16. المرجع السابق، ص 199.
17. محمد العيد تاورته، أنواع نثرية وظواهر أسلوبية في الكتابات الأولى للإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، دار الإحسان للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، 2023، ص 61.
18. الإبراهيمي: بداية خطبة (الجمعية ودعوتها وغايتها) الشريعة، السنة الأولى، العدد 4، ص 1.
19. الآية: 146 من سورة البقرة.
20. الإبراهيمي (تعالوا نسايلكم) الحلقة 2، السنة النبوية المحمدية، العدد 9، ص 2.

21. السيرة النبويّة لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون. ط 2، القسم الثاني، ج 4 مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة، سنة 1955، ص 604.
 22. ينظر (تقرير الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي عن الأمية) السجل ص 86 والبيت للمتنبّي مطلعها: مُلُؤْكُمْنا يجل عن الملام *** ووقع فعّاله فوق الكلام (ديوان المتنبي) تحقيق: عبد الوهاب عزام (دكتور) – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة 1944 – ص 476.
 23. محمد العيد تاورته، أنواع نثرية وظواهر أسلوبية في الكتابات الأولى للإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، دار الإحسان للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، 2023 ص 48.
 24. الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ط 2، 2012، ص 235 – 236.
 25. الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر – 2007. ص 482 – 484.
 26. المرجع السابق، ص 482 – 484، 485.
 27. المرجع السابق، ص 482 – 483، 484 – 487.
 28. المرجع السابق، ص 482 – 485 – 486 – 487.
 29. المرجع السابق، ص 482 – 483 – 485.
 30. المرجع السابق، ص 482 – 486 – 487.
9. قائمة المراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، المجلد 8، ج 1.
2. عبد الهادي الفضلي، تلخيص البلاغة، دار الكتاب الإسلامي، بيروت لبنان.
3. أنور غني الموسوي، تلخيص موجز البلاغة، دار أقواس للنشر، العراق، 2020.
4. الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بأقلام معاصريه، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 2012.
5. الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر – 2007.